طول الساحل الشامي، بحيث لم يعد لهذه الممالك من منفذ سوى البحر غرباً وبلاد الروم شمالاً، فأضحت، كما أراد صلاح الدين لها أن تكون: بين فكي كماشة، أو داخل «كسارة بندق» يتلهى بسحقها الواحدة بعد الأخرى.

المرحلة الثالثة: استكمال الاستيلاء على شمال سوريا واستكمال عملية التطويق لمملكة بيت المقدس (استراتيجية المراحل):

كان صلاح الدين قد عاد إلى مركز الحكم في مصر للإعداد لتحرير القدس، فشكل جيشاً قوياً بلغ نحو 26 ألف مقاتل، ومجهزاً تجهيزاً جيداً، ثم زحف بهذا الجيش مجتازاً «البراري الشاسعة الفاصلة بين مصر وفلسطين» حتى وصل إلى العريش، ومنها إلى غزة وعسقلان. ورغم أن صلاح الدين هزم، أمام عسقلان، هزيمة فادحة، في معركة «تل الصافي»[27]، في 25 ت 2/ نوفمبر 1177م (573هـ)[28]. ورغم أن الصليبيين عادوا ليحاصروا حماة، في العام نفسه، وفي العام الذي تلاه (574هـ = 1178م)، وبدأوا يشنون غارات على بلاد المسلمين في شمال سوريا وضواحي دمشق[29]، وأن «ابن المقدم» والي بعلبك من قبل صلاح الدين، قام بعصيان عليه، فإن ذلك لم يثبط من عزيمته، بل استعاد قوته للمواجهة، فوضع أمام عسقلان «قوة مشاغلة» وانطلق بباقي الجيش إلى دمشق، (عام 575هـ = 1178م) ومنها إلى بانياس، ثم انحاز غرباً إلى «قلعة شقيف

---

(27) الصوري، م. ن. ج 2: 998 ـ 1003، ويسمي «رنسيمان» هذه المعركة بمعركة «تل الجزر» (رنسيمان، المرجع السابق، ج 2: 671 ـ 673) بينما يسميها ابن الأثير «معركة الرملة» (المصادر السابق، ج 11: 442).

(28) رنسيمان، م. ن. ص. ن. ويذكر وليم الصوري أن صلاح الدين، عندما وصل إلى العريش «ترك جزءاً من الأمتعة الثقيلة وأثقال الجند، ثم أخذ معه الجند المسلحين تسليحاً خفيفاً وأكثر المحاربين ممارسة، ومر بقلعتي الداروم وغزة» ثم «ظهر فجأة أمام عسقلان» حيث أقام عليها الحصار. وبينما كان الصليبيون يدافعون عن المدينة المحاصرة، كانت فرقة من جيش صلاح الدين تنتشر في المناطق المجاورة لعسقلان فتحتل بعض المدن مثل الرملة واللد وتحرقها، مما أتاح للملك الصليبي الذي كان يدافع عن عسقلان أن يخرج منها لقتال صلاح الدين ويمنيه بهزيمة فادحة قبل أن يتسنى له جمع جيشه المنتشر في المنطقة كلها (الصوري، م. ن. ص 998 ـ 1003).

(29) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 11: 450 ـ 453.